

ضرورة الاجتهاد الجماعي

لقد عانت مجتمعاتنا من الفتاوى الشاذة والآراء الشاذة ، ولهث بعض المحسوبين على العلماء من غير المؤهلين وغير المتخصصين ومن بعض ضعاف النفوس المتطلعين للشهرة أو الجاه أو حب الظهور ، خلف كل شاذ وغريب من الآراء ، ليجذبوا بذلك الأنظار إليهم ، أو ليخدموا به مصالح جماعتهم وتنظيماتهم. ونظراً لكثرة القضايا والمستجدات العصرية وتشعبها وتداخلها وحساسية كثير منها ، وتصادم بعضها مع آراء بعض العلماء والفقهاء المتقدمين الذين أفتوا بما يناسب عصرهم وزمانهم ومكانهم ، مع جهل غير المتخصصين وغير المؤهلين وأنصاف العلماء بتحقيق المناط وتنقيحه ، وإسقاط بعض الأحكام على غير مثيلها ، نتيجة الجهل بالواقع والجهل بشروط القياس الصحيح ، فإن الأمر قد بات أكثر إلحاحاً وضرورة لهذا الاجتهاد الجماعي.

ومن هنا كانت دعوة فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر في كلمته التي ألقاها في افتتاح مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمدينة الأقصر تحت عنوان : " رؤية الأئمة والعلماء لتجديد الخطاب الديني ، وتفكيك الفكر المتطرف " ، إلى تبني الاجتهاد الجماعي الذي يدعى إليه كبار العلماء ، من مختلف دول العالم ممن يحملون هموم الأمة ومشكلاتها ليواجهوا بشجاعة القضايا العالقة مثل قضايا الإرهاب وتحديد مفهوم دار الإسلام ، والالتحاق بجماعات العنف المسلح ، والخروج على المجتمع وكراهيته ، واستباحة دم المواطنين بالقتل أو التفجير ، أو ما كان متعلقاً بحقوق الإنسان والحرية ، أم كان متعلقاً بأمور الاجتماع وأولها قضايا المرأة ، وتحديد أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكي ، ومسائل الحج ، وبخاصة الإحرام من جده للقادم جواً أو بحراً ، ورمي الجمرات في سائر الأوقات ، وغير ذلك مما يفرضه واجب الوطن وواجب الوقت وحاجة الناس ، مع استنهاض الأمة لاستصدار فتاوى تُوجب العمل وتحرم التقاعس والكسل ، شريطة ألا يُفتى في هذه القضايا الدقيقة بفتاوى مجملة ونصوص عامة لا تنزل إلى الأرض ولا تحسم القضية ولا تغير الواقع .

ولا شك أن هذا الاجتهاد الجماعي سيسهم بشكل كبير وواضح وبناء في القضاء على الآراء الشاذة ، وعلى إزالة أسباب التطرف التي لخص مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الأخير أهمها فيما يأتي :

١- الانغلاق ، والجمود ، والتقليد الأعمى ، وسوء الفهم ، والوقوف عند حرفية النص ، والابتعاد عن فقه المقاصد والمآلات ، وعدم فهم القواعد الكلية للتشريع ، وإتاحة الفرصة لتصدر غير المؤهلين وغير المتخصصين لبعض جوانب المشهد الدعوي .

٢- متاجرة بعض الجماعات والتنظيمات بالدين ، واتخاذها مطية لتحقيق مصالح سياسية وحزبية ، مع إثارة مصالح الجماعات والتنظيمات على المصالح العليا للدين والوطن ، وغلبة التدين الشكلي والتدين السياسي على التدين الخالص لله (عز وجل) .

٣- نجاح بعض القوى الاستعمارية في استقطاب عملاء لها في كثير من الدول العربية والإسلامية ، سواء على وجه المصالح المتبادلة ، والوعود الوهمية لبعض الجماعات ، أم عن طريق شراء الذمم والولاءات .

على أن هذا الاجتهاد الجماعي يمكن أن يؤدي إلى تحقيق جانب كبير من التقارب بين العلماء ، ويزيل كثيراً من أسباب الفرقة والخلاف ، مما يسهم - وبلا شك - في وحدة صف الأمة ، ولا سيما في مواجهة الأفكار الشاذة والمنحرفة والضالة والمتطرفة .